شاكر خصباك وتشيخوف ×

أ.د.ضياء نافع

شاكر خصباك

تشيخوف

ولد أ.د. شاكر خصباك في الحلة عام ١٩٣٠، ويعد واحداً من إعلام العراق المعاصر، فهو قاص وروائي وكاتب مسرحي ومترجم وكاتب مذكرات ومقالات إضافة إلى انه أكاديمي كبير ومعروف في علم الجغرافيا، وقد حصل على درجة الأستاذية (بروفيسور) عام ١٩٧٤. اصدر د.خصباك أكثر من ثلاثين كتاباً بين تأليف وترجمة في كل تلك الأجناس الأدبية وفي مجال اختصاصه (الجغرافيا) بالطبع. تتناول مقالتنا هذه كتابا واحدا من إصداراته تلك وهو بعنوان / تشيخوف/ والذي يندرج ضمن موضوعة الأدب الروسي في العراق.

صدر هذا الكتاب عام ١٩٥٤ في بغداد ضمن منشورات مجلة /الثقافة الجديدة/ المعروفة، والتي ما زالت تصدر في العراق لحد الآن، وهي مجلة مهمة جدا في تاريخ العراق الفكري بشكل عام والسياسي بشكل خاص، وتعكس آراء الحزب الشيوعي العراقي وتعبر عن نظرته الفلسفية وسياسته.

أشار د. خصباك في رسالة له الى أ.د. عبد العزيز المقالح (رئيس جامعة صنعاء ومستشار الرئيس اليمني في شؤون الثقافة آنذاك) إلى هذا الكتاب وسبب إصداره قائلا- (طلب مجلس السلم العالمي من محبي الكاتب الروسي انطون تشيخوف الاحتفال بمرور خمسين عاما على وفاته، فاقترحت عليهم أن أتولى إخراج كتاب عن تشيخوف، عوضا عن المجلة (يقصد مجلة الثقافة الجديدة التي أوقفت الحكومة آنذاك إصدارها) فرحبوا بذلك، فانهمكت ليلا ونهارا في عملي، واستطعت انجاز الكتاب في موعده. وقد اشتمل على مختارات من قصصه ومسرحياته القصيرة مع دراسة عن أدبه وملخص عن أهم المحطات والأحداث عن حياته، وصدر الكتاب في مطلع الشهر، أي في موعد صدور المجلة تحت عنوان (منشورات الثقافة الجديدة) وكان أول منشور تصدره مجلة الثقافة الجديدة عام ١٩٥٤..... وبهذه المناسبة، إن كتاب انطون تشيخوف كان يومذاك من أوائل الكتب التي تصدر باللغة العربية عن تشيخوف...) ، / من رسالة د.خصباك إلى د.المقالح عنوانها- علاقتي بالأدب والمجلات الأدبية/ موقع الحوار المتمدن. وكما هو واضح في الرسالة، فان إصدار هذا الكتاب لم يكن بمبادرة من هيئة تحرير مجلة الثقافة الجديدة وإنما بطلب من مجلس السلم العالمي، والمجلس هذا- منظمة سياسية ، أي أن هدف إصدار الكتاب كان سياسيا، ويتلاءم هذا الهدف مع طبيعة المرحلة آنذاك عندما امتزجت السياسة بالأدب كليا لدرجة يتعذر الفصل بينهما، وقد كان كل كلام عن الأدب الروسي حينها يعني موقفا يساريا بالضرورة. ويشير د. خصباك في رسالته تلك أيضا، إلى أن الكتاب كان (من أوائل الكتب..عن تشيخوف) أي انه ليس أول كتاب عن تشيخوف بالعربية كما صرح د. خصباك نفسه في كلمته باتحاد الأدباء في صنعاء بجلسة مكرسة لتكريمه عام ٢٠٠١، والتي حضرتها عندما كنت أستاذا زائرا في جامعة صنعاء، واذكر أني همست في إذن صديقي أ.د. علي يحيى منصور رئيس قسم اللغة الألمانية في كلية اللغات بجامعة صنعاء آنذاك، والذي كان يجلس جنبي، إن جملة د. خصباك ليست دقيقة، اذ ان أول كتاب عربي عن تشيخوف كتبه نجاتي صدقي وصدر عام ١٩٤٧، وان كتاب د. خصباك هو اول كتاب في العراق وثاني كتاب باللغة العربية عن تشيخوف. ولم أشأ (وكذلك صديقي د . علي منصور) ان نشير الى ذلك في تلك الجلسة التكريمية الجميلة للاديب والعالم العراقي الجليل في صنعاء. بعد انتهاء الجلسة اقتربت مني فتاتان منقبتان وقالت لي إحداهما، إنهما سمعا ما همست به وسألتني لماذا لم تتحدث بذلك علنا؟ فوجئت بهذا السؤال واكتفيت بالابتسامة متملصا من هذا الموقف المحرج. هذا وقد التقيت به في بيت أ. د. عبد العزيز المقالح، رئيس جامعة صنعاء آنذاك، والذي ذهبت إليه بصحبة أ.د.حاتم الصكر وأ.د.عبد الرضا علي وأ.د. علي يحيى منصور، وكانت جلسة مفتوحة رائعة حضرها كثير من أساتذة جامعة صنعاء ومثقفي اليمن، وقد كان د.خصباك في صدارة الحاضرين، وقد اقتربت منه بعد انتهاء الجلسة وقلت له، باني تشرفت بالكتابة له عندما كنت طالب دكتوراه في جامعة باريس عام ١٩٦٧، عندما كان يعمل في جامعة الرياض، وطلبت منه نسخة من كتابه عن تشيخوف، فرد د. خصباك رأسا بأنه يعتذر لأنه لم يكتب لي ردا على رسالتي تلك، فقلت له باني تسلمت جوابا جميلا منه ، وانه يعتذر عن ذلك لعدم وجود الكتاب لديه في الرياض، وإنني لا ازال احتفظ برسالته وطلبت منه السماح لي بنشرها، فابتسم د. خصباك عندها ووافق بكل سرور على طلبي. وقد تشرفت في ما بعد بأن أزوره في شقته مع قريبه د.عائد خصباك ،التدريسي في احدى الجامعات اليمنية، وتحدثنا كثيرا عن ترجمات الأدب الروسي الى العربية ودور غائب طعمة فرمان المتميز في ذلك، ولا تسمح لي طبيعة هذه المقالة الاسترسال اكثر، ولكن يجب علي حتما ان أشير الى ان الانطباع عن د.خصباك كان رائعا، واني لمست فيه تواضع العلماء وسعة الثقافة وعمق المعرفة. واعود الى صلب الموضوع ،اي الى كتاب د.خصباك عن تشيخوف. لقد كان عمر د.خصباك عند إصداره لهذا الكتاب ٢٤ سنة ليس إلا، وعلى الرغم من ان خصباك بدأ بالنشر منذ كان عمره ١٥ سنة عندما كان تلميذا في المدرسة، وانه اصدر كتابه الأول عندما كان عمره ١٨ سنة (وكان بعنوان صراع وهو مجموعة قصص قصيرة) عندما كان طالبا في جامعة القاهرة، واصدر كتابه الثاني عام ١٩٥١ في القاهرة أيضا (كان بعنوان عهد جديد وهو مجموعة قصص قصيرة أيضا) وكان عمره ٢١ سنة، وهذه ظاهرة فريدة في تاريخ الأدب العراقي الحديث، ومن الممكن أن يكتب الشخص الموهوب (وكان خصباك نموذجا فذا لتلك الظاهرة) نتاجا أدبيا سواء كان شعرا أو نثرا، الا ان كتابة دراسة عن اديب اجنبي لم يكن معروفا تقريبا وبما فيه الكفاية باللغة العربية آنذاك هو أمر يثير الاستغراب فعلا. إنني اعتقد جازما ، ان إصدار خصباك لكتاب عن تشيخوف وهو بهذا العمر يعد مأثرة فكرية من هذا الشاب العراقي اليافع، وهي خطوة لا يستطيع ان يقوم بها سوى شاب متحمس جدا، اذ كيف يمكن ان نؤلف كتابا عن أديب أجنبي لم نقرأ له شيئا تقريبا، ولا نعرف اللغة التي كتب بها وفي بلد مثل العراق في خمسينيات القرن الماضي، حيث كانت السياسة تمتزج بالأدب بشكل لا يمكن الفصل بينهما؟ والحق يقال، أن الشاب الشجاع شاكر خصباك قد خاض هذه التجربة العلمية الفذة وخرج منها سالما تقريبا. لقد كان خصباك بحكم دراسته في العراق ومصر يعرف اللغة الانكليزية، واستطاع أن يجد عدة مصادر بالانكليزية عن تشيخوف، وقد اختار مسرحيتين ذات فصل واحد وعدة قصص له وترجمها إلى العربية (وهذا بحد ذاته عمل إبداعي رائع) وكتب مقدمة حول أدب تشيخوف معتمدا على ما اطلع عليه في تلك المصادر الانكليزية ، وأضاف الى ذلك جدولا تفصيليا لمسيرة تشيخوف الحياتية والإبداعية ترجمها عن الانكليزية من تلك المصادر أيضاً. ونرى انه من الضروري جدا هنا التوقف قليلا عند المقدمة تلك، إذ انها تحمل كل صفات المرحلة الفكرية ،التي كانت تسييس الأدب والفن عموما وتؤدلجه وتجعل الخطاب السياسي المباشر سائدا وحاكما. لقد ركزت المقدمة تلك على مواقف تشيخوف السياسية وليس الإبداعية ،ونستشهد ببعض الأمثلة الآتية –

(..من الغريب أن ينجو تشيخوف من عقاب الحكومة القيصرية التي لقي على يديها اغلب الكتاب الروس ألوان العذاب وصنوف التشرد والسجن والانتقام بل والموت) ، (لم يألُ تشيخوف جهدا في مساعدة الفقراء)، (يرفض تشيخوف الأجور التي يقدمها له الفلاحون الفقراء)، (كشف تشيخوف في كتاباته عن وحشية الحكومة القيصرية في معاملة الشعب الروسي)، (لم يكن تشيخوف يكتب للشعب الروسي فقط بل للإنسانية جمعاء، وقد آمن بضرورة الرحلات ليطلع على حياة مختلف الشعوب... وسافر فعلا إلى الشرق الأقصى والأوسط وجاب بلدان أوربا وكان يود السفر الى استراليا وامريكا لولا صحته المعتلة ..) ولم يخطر ببال كاتبي هذه السطور ولا ببال مترجمها الشاب العراقي اليافع خصباك كيف يستطيع تشيخوف أن يسافر هكذا في ظل حكومة وحشية لقي الأدباء على يدها ألوان العذاب. ولا أريد التوقف عند النظرة السائدة حول الأدب الروسي في العراق في تلك الفترة، إذ لم يكن المثقف العراقي آنذاك عميق النظرة الى الآداب العالمية عموما والأدب الروسي خصوصا ولا ما كان يجري من صراعات فكرية عميقة في مضمارها.

يختتم د. خصباك مقدمته (التي اسماها دراسة في رسالته) بالإشارة إلى كتابات (نقاد) ، وهم في الواقع باحثون كتبوا عن تشيخوف من وجهة النظر الرسمية التي كانت سائدة آنذاك ليس الا، ثم يتوقف عند مكسيم غوركي ويستشهد بما كتبه عن تشيخوف وهي كلمات حماسية جميلة تشير إلى جانب من عبقرية تشيخوف الإبداعية ولا تؤكد تلك الصفات التي أغدقها خصباك على تشيخوف في بداية مقدمته والتي جعلت تشيخوف مناضلا اجتماعيا ...

إن كتاب (تشيخوف) للأستاذ الدكتور شاكر خصباك – مؤلف رائد تماما في تاريخ الأدب الروسي في العراق والعالم العربي عموما، إذ انه أول كتاب عن تشيخوف في العراق وثاني كتاب عنه في العالم العربي باللغة العربية، وتكمن أهميته طبعا في انه أعطى للقارئ العراقي والعربي عموما عدة نصوص لمسرح تشيخوف وقصصه، لم يسبق أن ترجمها احد، إضافة الى تعريفه لمسيرة حياة تشيخوف وإبداعه.

×من كتاب –
من بوشكين إلى سولجينيتسن
صفحات من دفاتر الأدب الروسي
طبعة ثانية منقحة ومزيدة
معدة للطبع

تلويحة المدى

شاكر لعيبي

دفاعاً عن "اللاملتزم"

أمام هذا العنوان، سوف يتذكر شخص من جيلي كتاب كولن ولسون "اللامنتمي" الذي كتبه في الرابعة والعشرين من عمره عام ١٩٥٦، وتُرجم في زمن لم يكن "الانتماء" يثير الريبة عند مثقفي الشرق والغرب، مع أن الكتاب لا علاقة له بذلك، فهو يتحدث بروح وجوديّ عن نكهة الاستلاب الذي يسمُ أعمالَ مجموعة كبيرة من كبار الكُتّاب والروائيين والرسّامين. استطراداً: لا نعرف مدى دقة توصيف موسوعة وكيبيديا العربية القائل إن ولسون: "يُصنّف في الغرب باعتباره كاتباً دجالاً". أمر يحتاج الى تدقيق وإعادة فحص لما يكتبه محرّروها العرب. إن العنوان الإنكليزي للعمل The Outsider (وبالفرنسية l'Homme en dehors يعني تقريباً الكائن الواقف في الخارج، خارجاً)، قد تُرجم باللامنتمي، ولهذا السبب رُبط لا شعورياً عند القرّاء، ولعلي منهم، بالسياسة خاصةً، انسجاماً مع هاجس اللحظة. وهو خطأ فاحش. فقد كان هناك في الفترة التي تُرجم فيها الكتاب تيّار عريض "يقف خارجاً"، بشجاعة ونبل حقيقيين: جمهرة من الستينيين وكثير ممن تلاهم في السبعينيات.

شريحة لا يمكن التغافل عنها من "المثقفين" العرب اليوم، تبدو مطمئنة إلى السياقات الثقافية والعقلية والروحية السائدة. ولا تعلن كتاباتها مشاكل وجودية أو استلابية أو نفسية، وليس فيها الكثير من إشكاليات اللامنتمي المؤرّقة مثلما لدى المبدعين الذين يعالجهم كولن ولسون. أنها تمشي على نهج شبه واثق حسبما يشفّ من كتاباتها الروائية أو مقالاتها الصحفية أو قصائد نثرها. وهي تبدو ملتزمة، بطريقة غامضة لكن أكيدة، بأفكارها الدينية أو القومية أو اليسارية، بل ماضية دون مساءلة بالخط الثقافيّ والأخلاقيّ لوسائل الإعلام والصحافة التي تشتغل بها، أو على الأقل متأثرة بالكثير مما تبثه وتنشره هذه الوسائل من معطيات ومصطلحات وصور فوتوغرافية. العديد من المثقفين البارعين، بل "الكبار"، في الصحافة المعروفة المموّلة عربياً، لا يخرج عن الحدود المرسومة، ويتحاشى بالتالي الاصطدام بفكر وسياسة مموّليه. وهما، هذا الفكر وتلك السياسة، قابلان للنقد والتحليل أيضاً وفق المفاهيم التي يتبناها أولئك المثقفون أنفسهم، وليس حسب ما نحبّ نحن. هنا مثال لالتزام من نوع جديد تحت غطاء اللا التزام. في الأحداث الكبرى مثل الحدث العراقي بالأمس، والسوري اليوم، لا يقول البعض شيئاً واضحاً عن تداخل المعطيات، ويظل دائماً، وببراعة، في نطاق الخط المُعمَّم بقوة السياسة والميديا الحديثة، ليتوطن التزامه مداوَرة في وعينا عنه، شاخصاً من دون ظلال ولا لُوَيْنات، خلافاً للظلال واللوينات المقالة عندما يتعلق الأمر بنص أدبيّ أو ترجمة شعرية أو ظاهرة كتابية أجنبية يقوم بتناولها.

أما المثقفون غير الملتزمين بأيديولوجية دينية أو وعْي قَبَليّ أو فهم قومانيّ أو إيديولوجية يسارية متصلّبة، أو صحافة مقتدرة مالياً، فإنهم أكثر تقليباً للأمور وانغماراً بالمشكل: من بَاب الحيرة وليس اليقين، السؤال وليس الأجوبة، الحقيقة النسبية التي تقبل وجهة نظر الآخر وليس إنكاره وتشويهه، المحبة وليس البغض، بل يبدون أكثر قرباً إلى مقترحات الأخلاق الدينية السامية من دجل بعض الإسلام السياسيّ، وهم أعظم دفاعاً عن الجميل في ثقافة الأمة من تشنج القومانيين، وفي منطقهم شيء جوهريّ من الديالكتيك أهمّ من ميكانيكية بعض اليساريين، ويبدون دوماً في سياق انسيابية ورجوحية تسمح بها المدينة المفتوحة أكثر من جفاء وانغلاقَ البداوة المُنغلقة. ومن ثم يوجد فيهم الكثير من روح الدعابة مقابل تجهُّم "الملتزمين" الأقحاح، الطالعين علينا بقناع الليبراليين.

هل يشكل ما نصفُه، إذا كان عادلاً، ظاهرة جديدة تتعلق بـ (لا ملتزم) من نمط مناهض لما قد تشيْ به كلمة (الملتزم ونقيضه اللاملتَزم) من دلالة حادّة ونهائية؟، بل من طبيعة تتجاوز قليلاً فكرة "الأيديولوجيا" و"الأيديولوجي" المذمومة منذ البدء بطبعتها المحلية؟

موسيقى السبت

الموسيقى المولوية

ثائر صالح

تطورت الموسيقى الصوفية وبالخصوص مع انتعاش الطرق الصوفية في الدولة العثمانية. وبينما ارتبطت الطريقة البكداشية بالانكشارية ورافق دراويشها السلطان وجيشه في حروبه، تعمقت الطريقة المولوية في التصوف والفنون، كالشعر والموسيقى (وإن كانت هي الأخرى قريبة من السلاطين، كما شغل أتباعها مناصب رفيعة في الدولة).

لم تكن للمؤسسة الإسلامية العثمانية اعتراضات على الموسيقى، لا بل استفاد الدين من أصول الموسيقى ومقاماتها في تأدية مراسيمه، إذ تطور تجويد القرآن الكريم كثيرا، وظهرت المدائح التي ترتل في المناسبات. ولم يقف كبار المنشدين والمرتلين عند حدود القرآن الكريم والمناقب، بل كثيراً ما دخل رجال دين عثمانيون في بحار الموسيقى الدنيوية تأليفاً، بينهم من حمل لقب شيخ الإسلام أو حافظ، أو كان حاجاً.

لكن الموسيقى الدينية حلقت في سماوات الصوفية، على الخصوص التصوف المولوي. والطريقة المولوية تنسب إلى جلال الدين الرومي ، وهو شاعر وفيلسوف ومتصوف فارسي كبير من القرن الثالث عشر الميلادي تتلمذ على يد المتصوف شمس الدين تبريزي وتأثر به لدرجة كبيرة. لقب جلال الدين الرومي بلقب مولانا، ومن هنا جاءت تسمية المولوية. عاش في قونية وتوفي فيها، بذلك أصبحت قونية مقر المولوية.

من أشهر مؤلفي الموسيقى المولوية كجك درويش مصطفى دده (في القرن السابع عشر) ومصطفى عطري (١٦٤٠-١٧١٢) أحد أهم المؤلفين العثمانيين الكلاسيكيين، وقد أعلنت اليونسكو سنة ٢٠١٢ سنة عطري الدولية بمناسبة الذكرى ٣٠٠ لوفاته. أهم مؤلف مولوي هو دده أفندي (القرن ١٨-١٩)، واشتهر مؤخراً رؤوف يكتا (١٨٧١-١٩٣٥) وهو عالم ومنظر موسيقي ومؤلف صوفي.

العين هو الشكل الأساس في الموسيقى الصوفية المولوية، يتألف العين بيات مثلاً من القطع الاتية: نعت مولانا (رست، من مؤلفات عطري) تقسيم (بيات) بشرف (بيات)، سلام أول (بيات) سلام ثاني (أصفهان ورست)، سلام ثالث (حسيني، عجم، حجاز) سلام رابع (حجاز) صون بشرف (بشرف ختامي، حجاز)، صون يُرُك سماعي (سماعي سريع ختامي، حجاز).

في قاعة الجواهري.. سيرة المدينة من ذاكرة المكان

بغداد/ نورا خالد

قدّم الشاعر والإعلامي ملك محمد جودة والناقد علي الفواز محاضرة تحمل عنوان (سيرة المدينة من ذاكرة المكان) في أصبوحة الأربعاء الماضي على قاعة الجواهري في اتحاد الأدباء والكتاب العراقيين، تحدثا خلالها عن أهمية المكان بالنسبة للمبدعين واتخذا من ثانوية قتيبة بمدينة الثورة أنموذجا لهذا الإبداع، إذ تخرج منها العديد من الأسماء التي أثرت الثقافة العراقية بشتى أنواع الإبداع، ودورهم في مقارعة النظام الحاكم خلال سنوات السبعينيات.

الشاعر والإعلامي ملك محمد جودة أكد من خلال المحاضرة على أهمية ذاكرة المكان بالنسبة للأديب والمبدع، وأشار الى أنها هي المحفز الأول للإبداع فمن دون ذاكرة الإبداع اي المكان التي تتحد مع خلايا دم المبدع لا إبداع أبداً، وبين جودة أن كل أمهات الكتب وأمهات الإبداعات في شتى المجالات جاءت بسبب المكان، فالمكان يلهم لان فيه الأهل والناس والبيئة والحبيبة وكل هذا هو أجزاء وعناصر الإبداع، فالمكان يعني كل شيء إلا أن الزمان له جزء مهم ويتمم المكان، وقرأ الشاعر ملك عدد من قصائده التي تدل على الحنين لبلده ومدينته ومدرسته التي تخرج منها وحبه لدجلة الذي كتب على ضفافه أجمل القصائد، وأشار علي الفواز خلال حديثه للمدى الى أهمية ذاكرة المكان إذ انه يبحث في أسرار هذا المكان أو محاولة الكشف عن المسكوت عنه في هذا المكان وأضاف الفواز : حاولنا من خلال هذه الجلسة أن نأخذ مقطعا من مدينة الثورة المدينة التي كانت عشوائية لكنها تحولت إلى مركز ثقافي ومعرفي وأصبحت مركزاً للمدينة السياسية والتجارية والمدينة العقائدية بأشكال جديدة من الحياة، فهذا المقطع يتعلق بثانوية قتيبة المدرسة التي تخرج منها أسماء كبيرة جدا من المثقفين العراقيين والسياسيين والأكاديميين ومن ضمنهم هاشم حسن وشاكر العيبي وفاروق يوسف وعبد الله صخي وكريم العراقي وفلاح حسن وأسماء كبيرة أخرى، وبين الفواز: أن الحديث عن هذا المكان يأخذ أهميته من خلال الرمزية ومن خلال القيمة المعنوية ومن خلال الأثر الذي تركه في سيرة المدينة وسيرة المشهد الثقافي العراقي الذي كان مشهدا سياسيا ومشهدا يساريا ومشهدا ديمقراطيا ارتبط بالرموز الذين تجوهر وعيهم داخل هذه المدرسة التي كانت فضاء ثقافيا وإنسانيا ومعرفيا تمكن من أن يصنع هذه اللمحة وهذه الوهجة وفي نهاية حديثه تمنى الفواز أن ينتبه صناع المكان العراقي وصناع السيرة والسياسة إلى أهمية المكان في الذاكرة فهو صانع للأثر وصانع للوعي.

وملك محمد جودة، من مواليد بغداد ١٩٥٣، حاصل على شهادة البكالوريوس من كلية الآداب جامعة بغداد عام ١٩٧٦، وعلى شهادتي الماجستير والدكتوراه من جامعة لانكستر في بريطانيا. وقد ترجم لتلفزيون بغداد عددا من الأفلام والمسلسلات الأجنبية.

وسبق لاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق، أن احتفى عام ٢٠٠٩ بالدكتور ملك محمد جودة، وقدم له درع الاتحاد تقديرا لمنجزه الثقافي، فيما قدم رئيس الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق الناقد فاضل ثامر درع الجواهري للدكتور جودة تثمينا لجهوده ومنجزه الثقافي.